رأي حول استراتيجية للتفاوض مع اسرائيـل

د. حسن نافعة

بعودة مصر الى جامعة الدول العربية، دون ان تؤثر هذه العودة في التزاماتها التعاقدية تجاه اسرائيـل، يدخل الصراع العربي ـ الاسرائيلي مرحلة جديدة. وتتسم هذه المرحلة بتغليب شعارات التفاوض والسلام على شعارات الصراع والحرب. ولكي نصبح أكثر وضوحاً، وتحديداً، وندخل الى جوهر القضايا دون لفّ، أو دوران، يمكن ان نقول ان مرحلة التفاوض المنفردة، التي قادتها مصر مع اسرائيل، قد انتهت وطويت صفحتها، وان العالم العربي يستعد للدخول في مرحلة انتقالية جديدة من مراحل الصراع العربي ـ الاسرائيلي، هي مرحلة التفاوض الجماعي مع اسرائيل. وسوف تقود منظمة التحرير الفلسطينية عملية التفاوض الجماعي هذه المرحلة المقبلة، وهي مرحلة بدأت معالمها تتضح مع «هجوم السلام الفلسطيني»، الذي تشنّه المنظمة منذ فترة، مرتكزة على قوة الدفع التي احدثتها الانتفاضة، وبمباركة شبه اجماعية من العالم العربي.

وعندما اقترح عليّ مندوب شؤون فلسطينية ، في القاهرة، ان أكتب حول استراتيجية التفاوض مع اسرائيل، لم أتردد، ولم يرتعش القلم في يدي. فعلى الرغم من اقتناعي التامّ باستحالة التوصل الى سلام «دائم وعادل» مع اسرائيل، في ظل الاوضاع والتوازنات المحلية والاقليمية والعالمية الراهنة، الاّ ان كلمة التفاوض لا تفزعني، وهي لا تعد، بالضرورة، مرادفاً لـ «الخيانة» أو «الاستسلام»؛ كما ان كلمة الحرب ليست، بالضرورة، مرادفاً لـ «النضال» أو «المقاومة». وربما آن الأوان ان يتحرّر العقل العربي من بساطته التي يعجز معها عن ادراك حقيقة الواقع المعقّد، والمركّب، ومن ثمّ مواجهته ببدائل وحسابات على مستوى تعقّده وتركيبه. فقد درج العقل العربي، حتى الآن، على اختزال الالوان الى أبيض وأسـود، والخـطوط الى مستقيمـة ومتعرّجة، على الرغم من ان عدد الالوان الاصيلة يقاس بالعشرات، ودرجات الألوان المشتقة تعدّ بالمئات، وعلى الرغم من ان الخطوط لا تستقيم فقط، أو تتعرّج فقط، وانما هي قادرة على رسم آلاف الاشكال الهندسية، التي لكل منها منطقه ووظيفته التي يعبّر عنها والمحددة له سلفاً. وفي هذا الاطار، يتعيّن علينا ان نتحرّر من أسر «قدسية» بعض المصطلحات، أو «حرمة» بعضها الآخر، وان نتوقف، أكثر، عند المعاني، لا عند المفردات.

وفي الصراعات الدولية يندر ان تذهب الشعوب الى الحرب لمجرد استعراض عضلاتها، أو لاثبات قدرتها على القتل والتدمير، وانما تلجأ الى الحرب، عادة، حين تخفق في تحقيق اهدافها بوسائل أخرى. فالحرب والتفاوض هما اداتان من أدوات ادارة الصراع، وهما ليسا، بالضرورة، نقيضين، أو بديلين، بحيث يتحتّم اسقـاط احـدهمـا اذا تمّ اللجـوء الى الآخـر، وانما يتكاملان، دائماً، في نسق واحد